رؤية العدالة في الثقافات الأفريقية نموذج فلسفة الأوبونتو

فاطمة محمود توفيق بنداري

باحث دكتوراه – كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة

الملخص

تستند هذه الدراسة إلى حجة رئيسية، حيث أوبونتو فلسفة شائعة بين المجتمعات الأفريقية وعليه يجب أن تمنح الفلسفة الأفريقية نفس مكانة الفلسفة الغربية في علاج قضايا العدالة الانتقالية. وإن الحجة القائلة بأن الأفارقة لا يمكن أن تكون لديهم فلسفة في أوقات ما قبل الاستعمار، تستند إلى فرضية خاطئة.

وتحاول الدراسة البحث عن كيفية تطبيق فلسفة الأوبونتو؛ لتحقيق العدالة الانتقالية في المجتمعات الأفريقية من قبل المحاكم الأفريقية الشعبية، وأنه يجب أن تعزز المحاكم الدستورية في الدول الأفريقية باعتبارها أعلى سلطة قضائية تطبيق روح الأوبونتو– Ubuntu.

وقد توصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها؛ إن إحدى الركائز الأساسية لتطبيق العدالة الانتقالية في أفريقيا تتجلى في توظيف المفاهيم والممارسات الاجتماعية الأفريقية. حيث مجموع التصورات والمفاهيم حول دور الفرد في بناء علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية مستقرة داخل مجتمعه.

وخير مثال لهذه المفاهيم الانسانية؛ ما يعرف في الثقافة الأفريقية التقليدية " أوبونتو"، وهو مفهوم ثقافي قادر على بناء السلم وفض النزاعات، لما يتيحه في الثقافة المحلية الأفريقية من إمكانية طلب المعتدي العفو من الضحية، وبالمقابل منح الضحية العفو للمعتدي، فهو مفهوم يختزل كثيرًا من القيم الإنسانية وأهمها العفو.

Summary,

This study is based on a major argument, that Ubuntu is a common philosophy among African societies and therefore African philosophy should be given the same standing as Western philosophy in treating transitional justice issues. The argument that Africans had no philosophy in pre-colonial times is based on a false premise.

The study attempts to find how to apply the Ubuntu philosophy; To achieve transitional justice in African societies by the African People's Courts, and that the constitutional courts of African countries as the highest judicial authority should promote the application of the Ubuntu spirit.

The study concludes that one of the main pillars of the implementation of transitional justice is reflected in the employment of social concepts and practices in Africa. Where the sum of perceptions and concepts about the human role in building stable political and economic relations within his society.

A good example is what is called in traditional African culture "ubuntu", It is a cultural concept capable of building peace and resolving conflicts, as it allows in the local African culture the possibility of the aggressor asking for forgiveness from the victim, and in return the victim granting pardon to the aggressor. It is a concept that summarizes many human values, the most important of which is forgiveness.

تمهيد ...

إن تدويل العدالة التصالحية تطور مطلوب لدعم بناء السلام، لكن أدبيات العدالة الانتقالية ستكون غير مكتملة إذا تم حجب مساهمة التقاليد التصالحية الأفريقية في نموذج العدالة التصالحية الناشئة، أو إذا استمر تجاهلها، إذ عندما يكتب علماء القانون الغربيين عن تاريخ العدالة التصالحية، كثيرا ما نجدهم حاجبين كل الأدلة التاريخية الأفريقية التي سعت لتطبيق آليات العدالة التقليدية. التي تسعي دائما لإعادة حقوق الضحايا، وإعادة إدماج الجاني في المجتمع، وعليه استعادة العلاقات والوئام الاجتماعي الذي قوضه الصراع.

وتجسد وجهة النظر هذه فلسفة أوبونتو الأفريقية؛ التي تعبر عن قيم المساواة والإنسانية والترابط والتشاركية والديمقراطية في أفريقيا، فتقليديا استخدمت فلسفة أوبونتو؛ للحفاظ على القانون والنظام في المجتمع الأفريقي، وكانت العادات والتقاليد والقوانين الأفريقية الأصلية بمثابة أسس للعدالة في معظم دول القارة الأفريقية.

وعليه تبحث الدراسة في مفهوم أوبونتو وكيف يمكن الاستفادة من تطبيقها في علاج إرث انتهاكات الماضي لتحقيق العدالة وبناء السلام المستدام في دول ما بعد الصراع والحروب.

والهدف من هذه الدراسة إيصال فكرة، مفادها أنه في عالم القرن الحادي والعشرين من المرجح أن نجد في التقاليد الأفريقية مورد أكثر قيمة من التقاليد الجزائية لتنفيذ مبدأ العدالة وإرساء قواعد بناء السلام في مجتمعاتنا، فهذه المعرفة الأفروتاريخية ضرورية لأنه وفقا للفيلسوف الإيطالي ماركوس توليوس شيشرون[1]، "عدم معرفة ما حدث قبل أن يولد المرء هو أن يبقى طفلا إلى الأبد ". لذا فإن دراسة العدالة في الثقافات التقليدية وفقا لفكرة العدالة التصالحية ستوفر خلفية لفهمنا لمفهوم العدالة وتحوله. وقد تساعدنا المراجعة التاريخية للعدالة التصالحية أيضا على فهم العوامل التي أثرت في الابتعاد عن العدالة التصالحية لصالح نموذج العدالة الجنائية، ولماذا قد نرغب في الآونة الأخيرة في العودة نحو نموذج العدالة هذا في سياقنا الاجتماعي الحالي على المستوي القاري والمستوي العالمي.

وتعتمد الدراسة فلسلفة الأوبونتو كمفهوم معني بتحقيق قيم العدالة التبادلية بين المجتمعات البشرية ومكونات الحياة وهنا تأتي متوالية من المحظورات والأنظمة الاجتماعية والطقوس الدينية التي تؤمن التعايش السلمي بين البشر من جانب، وبين سائر مكونات الحياة من جانب آخر، كما فعل واعتمدها رئيس الأساقفة **Desmond Tutu** عندما قاد لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب إفريقيا، والتي ساعدت جنوب أفريقيا على تجاوز تاريخها في الفصل العنصري.

---

١ – ١٠٦ – ٤٣ قبل الميلاد ، متخصص في القانون الروماني ودرس الفلسفة . للمزيد أنظر الموقع https://drmfarhan.wordpress.com/2015/06/07/

وفي النهاية يستنتج في هذه الدراسة أن استخدام فلسفة أوبونتو ، يسهل تطبيق العدالة الاجتماعية، خاصة لتعزيز أخلاقيات الممارسة والعمل المجتمعي ونسيان الماضي المؤلم، وبناء مستقبل يعمه السلام والعمل والتنمية .

وتنقسم الورقة البحثية إلى محورين وتمهيد وخاتمة

تمهيد.

المحور الأول : فلسفة أوبونتو.. المصطلح والمدلول

المحور الثاني : فلسفة أوبونتو كنظام عدالة للشعوب الأصلية الأفريقية

خاتمة .

المحور الأول
فلسفة أوبونتو.. المصطلح والمدلول

من أبرز سمات ثقافات أفريقيا جنوب الصحراء، طابعها غير الفردي، لكن على الرغم من أن الثقافات الأفريقية تعرض تنوعا رائعا، إلا أنها تظهر أيضا أوجه تشابه ملحوظة، فمثلا يعد المجتمع هو حجر الزاوية في الفكر والحياة الأفريقيين، فالأفريقي ليس فردا منعزلا أو عنيفا، ولكنه شخص سلمي يتعايش داخل مجتمعه.[١]

أولا: مصطلح أوبونتو

يعود أصل الفلسفة الاجتماعية بإفريقيا التقليدية إلى رؤية للعالم شاملة تعرف بأوبونتو، (Ubuntu)، وهي مصطلح مركب من المقاطع (u-bun-ntu)، وينطق: (oo-bun-too)، ومركب من جزءين: (ubun-ntu)، ويعني الجزء الأول: وجود أو كينونة، والثاني: إنسان، فالمصطلح – إذن– يرمز للوجود الإنساني، ويترجم إلى اللغات الأوربية ترجمة مقاربة بـ"Humanism".

والكلمة من لغة مجموعات انغوني (Nguni) في جنوب أفريقيا،[٢] وتوجد في معظم اللغات البانتوية كلمات مشتركة في الهجاء وفي النطق والدلالة لأوبونتو، كما يتضح من الجدول رقم (١)، ففي كل من لغة انديبلي في زيمبابوي، ولغة زولو، ولغة سوسا بجنوب أفريقيا نجد " umtu, umuntu"، وعند مجموعة (Merian) في كينيا هي "umuntu"، وفي لغة كيكويو بكينيا أيضا "umundu"، وعند مجموعة شاغاهي في تنزانيا "undu"، وأيضا عند مجموعة سوكوما في تنزانيا "bumuntu"،[٣] وعند مجموعة هيريرو بنامبيا نجد "omundu"، والدلالة هي عينها في جميع اللغات المذكورة، أي "إنسان" أو "شخص"، وهو ما يحقق إنسانية الإنسان، بعلاقته مع غيره من البشر وسائر مكونات الطبيعة وعناصرها، هذا، وكلمة (Bantu) المشار بها إلى لغات الشعوب المنتشرة من وسط أفريقيا في كاميرون حتى أقصى الجنوب الأفريقي، هي جمع لكلمة (umutu/ubuntu)؛ حيث إن السابقة (ba) هي أداة الجمع، كذلك في أقصى غرب أفريقيا في لغة مادينغ بتفرعاتها، فإن كلمة "moho/mogo/mahaa" الدالة على الإنسان، لا تبعد كثيرا عن المفردات المذكورة في اللغات البانتوية، هذا على الرغم من بعد لغة مادينغ عن بانتو، وانتمائها إلى أسرة اللغات النيجيرية–الكونغولية.

1- John S. Mbiti, **African Religions and Philosophy** (Nairobi: East African Educational Publishers, 1969), pp. 108-109.

2- Michael Battle ,**Ubuntu: I in you and you in me**,(New York: Seabury Books, 2009) P.2

3- Leonard Chuwa, **African Indigenous Ethics in Global Bioethics**,(Switzerland: Springer Nature,2014) p 12.

شكل (١): مشتقات "أوبونتو" بلغات البانتو.

لغة البانتو	المفاهيم المشتقة من الأوبنوتو
أوغندا – Uganda	Abantu
سيسوتو – Sesotho لغة مستخدمة في ليسوتو	Botho or Motho
شيسونجا – Xitsonga لغة مستخدمة فى كل من موزامبيق، وجنوب أفريقيا، وزيمبابوي	Numunhu or Munhu
شانكان – Shangaan مجموعة عرقية من البانتو متواجدين في كل من جنوب أفريقيا، و موزمبيق، وزيمبابوي	Numunhu or Munhu
زولو& كوسا – isiXhosa & isiZulu	Umuntu Ubuntu, Umtu or
Ngoni (Malawi), Shewa (Zambia), Nyanja (Mozambique), Bemba ((Zimbabwe أنغوني (ملاوي) ، شيوا (زامبيا) ، نييانجا (موزامبيق) ، بيمبا (زيمبابوي)	Umunthu
السواحيلية – Swahili	Utu
شيفاندا – Tshivanda لغة مستخدمة فى كل من جنوب أفريقيا وزيمبابوي	Vhuntu or Muntu

Source: Johann Broodryk, Ubuntu: Life lessons from Africa, (Pretoria : Ubuntu School of Philosophy ,2005) P.P,235-236.

وعلى الرغم من أن لغات البانتو قد تطورت منذ صياغة المفهوم لأول مرة، فإن معاني ومبادئ أوبونتو هي نفسها في كل هذه اللغات.

إذن، فإن أوبونتو هي رؤية كلية للعالم ترى أن إنسانية الإنسان، لا تتحقق إلا ضمن مجموعة بشرية، ومن خلال التزام الفرد بمجموعة من المبادئ المجتمعية والقيم التشاركية (communitarianism) الكفيلة بتحقيق الوئام بين البشر، والتناغم بين عناصر الكون الأوسع.

وقد حاول الباحث (Ban Binsbergen)، تحديد ركائز فلسفة أوبونتو في أربع، هي:[١]

(١) تحقيق الكرامة الإنسانية والمساواة.

(٢) تحقيق أخوة عالمية.

(٣) التأكيد على قداسة الحياة.

(٤) بلوغ "الوجود الإنساني" ضمن مجموعة اجتماعية، وحددها الباحث بروزيسكي كالتالي:-

١) إنسانية	Humaneness
٢) اللطف	Gentleness
٣) حسن الضيافة	Hospitality
٤) التعاطف أو تحمل المتاعب للآخرين	Empathy or taking trouble for others
٥) اللطف العميق	Deep Kindness
٦) الود	Friendliness
٧) سخاء	Generosity
٨) القابلية للتأثر	Vulnerability
٩) صلابة	Toughness
١٠) تعاطف	Compassion

Source: Martin Prozesky , Frontiers of conscience : exploring ethics in a new millennium ,(South Africa : Equinym, Cascades, 2003) p.p 5-6.

هنا ينبغي التأكيد على أن من الصعب حصر هذه الفلسفة في سلسلة من القيم، وإنما الأسلم النظر إلى أوبونتو بوصفها نظاما كليا، ورؤية للعالم ذات استحواذ وتغلغل في جميع أنظمة الحياة الاجتماعية والسياسية، والثقافية والفكرية والأدبية بأفريقيا

ثانيا: مفهوم أوبونتو:

أما عن محاولات تعريف أوبونتو المختصرة، فقد عرفها أسانتي وآخرون، بأنها: "رؤية أفريقية أصيلة للعالم، تتلخص في: احترام الإنسان، وكرامته، وحياته، والمسؤولية الجماعية المشتركة، والطاعة، والتواضع، والتضامن، والاعتماد المجتمعي المتبادل ".[٢]

1- Wim van Binsbergen, " Ubuntu and the globalisation of Southern African thought and society", **Quest: An African Journal of Philosophy** (Zambia: University of Zambia, Department of Philosophy, Vol. XV No. 1-2, 2001) p.53.

2- Molefi Kete Asante, Yoshitaka Miike, and Jing Yin, (eds),**The global intercultural communication reader**, (New York: Routledge,2008) p.114.

وعرفها الباحث برودريك بأنها: "رؤية أفريقية متكاملة للعالم تقوم على القيم الأصيلة في الإنسانية، من تعاون، وتشارك، وتعاطف، وتحقيق مجتمع إنساني مثالي في جو من الأخوة".(١)

ويرى لاوس أنها.. "قواعد للسلوك الاجتماعي، تصف الإنسان بأنه كائن مع الآخرين، وتحدد سلوكيات العيش الواجب اتباعها للعيش بوئام مع الآخرين".(٢)

كما تعني فلسفة أوبونتو: "أن يُسخر الفرد حياته للآخرين"، وزاد أن هذه الفلسفة بمثابة "دين بالمجتمعات الأفريقية التقليدية".(٣)

ولعل كبير الأساقفة ديسموند توتو أكثر توضيحا لمفهوم أوبونتو، حين أوضح أن الشخص الذي يوصف بأنه متخلق بأوبونتو "**Yu, u nobuntu**"، هو "الشخص الكريم، المضياف، جميل المعشر، المعاون، السمح... وهي الشخصية التي تكون في خدمة الآخرين، السعيد بسعادتهم، الذي يشعر بأن إنجاز الآخرين ونجاحهم، هو نجاح له؛ لشعوره بالانتماء إلى مجموعة بشرية كبرى، بالعكس، فإن الآخرين حين يتعرضون للإهانة والظلم، فإن الشخصية أوبونتو تشعر بمثل ما يشعرون".(٤)

هذا، ويدل على مركزية فلسفة أوبونتو في تشكيل الرؤية الكلية للكون والإنسان والحياة في الثقافة الإفريقية، ارتباط سبعة عناصر أساسية بها تعد مميزات مشتركة لجميع الثقافات الأفريقية، وتعمل بجلاء أو بخفاء وبصمت، في جميع مظاهر الحياة الأفريقية: المعرفية، والقيمية والمادية على سواء، وهي سبعة عناصر تعد إفراز مباشر لرؤية أوبونتو، وإن تواردها في جميع ثقافات أفريقيا؛ للدلالة على مركزية أوبونتو في الثقافة الأفريقية:(٥)

١) الحس المجتمعي: وهو الاعتقاد أن ليس للفرد وجود حقيقي في المجتمع الأفريقي إلا بانتمائه إلى مجموعة معينة، وبها تتحدد هويته، وأمنه.
٢) حس الوئام البشري: وهو البحث الدائم عما يحقق حسن العشرة والجوار بين الناس من حسن خلق، وتسامح، وكرم...
٣) قداسة الحياة: أولوية الحفاظ على الحياة البشرية، وكذلك سائر الحيوات في الطبيعة.

1- Leonard Chuwa, African Indigenous Ethics in Global Bioethics, **op.cit,p** 12

2- **Ibid**,p 13.

3- Vuyisile Msila, **Ubuntu: Shaping the current workplace with (African) wisdom**, (South Africa: Knowres,2015) p.1.

4- Desmond Tutu, **No Future Without Forgiveness**,(London: Rider,1999)p.p 34-35.

5- Emeka Emeakaroha, **African World and Ideology,** Seminar Paper presented At the Theological department of the University of Vienna Austria(Vienna : On the 14th of March 2002) p.2.

٤) الحس الديني الروحي: إن كل تصرف يعتمد على رؤية دينية روحية؛ فلا فصل بين الدين والحياة بأي وجه.

٥) قداسة السلطة والأسلاف وكبار السن: في المنظور الثقافي الأفريقي، تضفى صبغة روحية على الملك؛ للاعتقاد أنه وسيط بين أرواح الأسلاف وبين المجتمع، ويلحق بالملك كبار السن؛ لأن المسن هو مستودع الحكمة والعلم والخبرة.(١)

٦) العناية بالضيف: يحظى الضيف بعناية فريدة في المجتمع الأفريقي، ويعطى من الامتيازات ما لا يعطى لأفراد المجموعة.

٧) الحس بقداسة الكلمة: الاعتقاد بأن للكلمة الملفوظة تأثيرا مباشرا في الأشياء، وفي مصائر البشر.(٢)

في هذا السياق، حاول باحثون الخوض في البحث عن جذور فلسفة أوبونتو، فخلصوا إلى أنها نابعة عن رؤية قديمة بأفريقيا، تعرف بـ"ماعت" (Ma'at)، في الحضارة الفرعونية القديمة، وتهدف لتحقيق العدالة الاجتماعية، والوئام والكمال الأخلاقي في عالم تسوده الفضيلة، وقد أصبحت هذه الرؤية –فيما بعد–اسما في اعتقادهم للإله ماعت ابنة رع، التي يعتقد أنها ربة العدالة والحقيقة في الأساطير الفرعونية، وأنها التي وضعت أسس النظام الأخلاقي.(٣)

وهنا يرى الزعيم كارينجا، وكذلك الباحث جراهام، أن فلسفة أوبونتو امتداد لتلك الرؤية الفرعونية القديمة المتعددة المعاني. "إنها تشمل: الصدق، والعدالة، والوئام، والتوازن والنظام"، وأن هذه المتواليات الأخلاقية تهدف لبناء الفرد والمجتمع بتناغم، وتحقيق الرفاهية في الحياة.(٤)

في هذا السياق، نجد من المحاولات في مقارنة فلسفة أوبونتو بمثيلاته، دراسة للباحثين: بيل وميتز (Daniel A. Bell & Tahddeus metz)، في المقارنة بين القيم الاجتماعية الكونفشيوسية الصينية، وبين ركائز أوبونتو.(٥) ومن المفاهيم الصينية –مثلا–مفهوم "jen"، كذلك في الثقافة الروسية مفهوم "obschina".

1- William Conton, **The African**, (London : Heinemann, 1966). p. 21.

2- Steve Biko, **some African Cultural Concepts ,at** https://chimurengachronic.co.za/some-african-cultural-concepts-by-steve-biko

٣ – طلال محمود حرب، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، (القاهرة : دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م) ص ٣٠١.

4- Maulana Ndabezitha Karenga**, Maat, the Moral Ideal in Ancient Egypt: A Study in Classical African Ethics**, (California :University of Southern California,1994) p. 3.

5- Elvis Imafidon(eds), **Ontologized Ethics: New Essays in African Meta-Ethics**(NEW YORK:Lexington Books ,2013) p.107.

كما يرى الباحث أوكافور ان هناك تماثلا بين فلسفة أوبونتو وبين مفهوم "الحب الأخوي"، المشار إليه عند الفلاسفة الإغريق بـ"Philia"، ومنه مفهوم المدينة الفاضلة "Philadelphia"، وهو المجتمع المثالي الذي يشعر فيه الجميع بالحب المطلق والتعاون والتضامن.(١)

وعلى كل، فإن فلسفة أوبونتو تؤكد لنا الأصل الواحد للجنس البشري، وطبيعة الخير التي جبل عليها الإنسان أينما كان.

ثالثاً: أوبونتو ومبدأ الجماعية - النشاركية (Communitarianism)

تعد قيمة الجماعية ملمحا مميزا لرؤية أوبونتو؛ إذ هي المقدمة الضرورية التي تؤمن بأن أي فرد في المجموعة، إنما هو على ما هو؛ بسبب انتمائه للمجموعة، ولولا المجموعة ما كان ليكون على ما هو عليه.(٢)

ويعبر عن هذا المفهوم شعار أوبونتو القائل: " ubuntu ungamuntu ngabanye abantu" بلغة زولو وسوسا (isiZulu & isiXhosa)، أو شعار: " mundu ni undu wa andu" بلغة كيكويو (Kikuyu)، أو شعار: " moth ke motho ka botho " بلغة سوتو (isiSotho)، فهذه التعبيرات باللغات المذكورة تعني: الإنسان إنسان عبر الآخرين، أو بوجود الآخرين، أو أن الآخرين هم الذين يجعلون من الفرد إنسانا.

من هذا المنطلق، فإن من الصعب تعريف فرد بناء على ملامحه الجسدية والسيكولوجية البحتة، بمعزل عن جماعته. إن هذا الإجراء، كما يوضحه الباحث بيكو، من مخلفات الرؤية الرأسمالية الغربية.. " إن التعريف الذي يقصي الفرد عن مجموعته، تعريف قاصر عن إدراج أهم مكون للتعريف بالفرد".(٣)

إن الوجود الإنساني منوط بالانتماء لجماعة، وبتعبير آخر، إن الفرد لا وجود حقيقي له إلا عبر اعترافه بوجود الآخرين، ودعمه ذلك الاعتراف بجملة من التصرفات التشاركية لذلك، فإن قيمة الجماعية هي الأساس في فلسفة أوبونتو، والأصل هو الانطلاق من محورية الجماعة إلى الفرد، فوجود الفرد يمكن تصوره انطلاقا من وجود جماعة، وبتعبير الباحث مقاري، فإن.. " كون الإنسان فردا، يعني كونه مع الآخرين".(٤)، أو كما يوضحه الباحث راموسي فإن شعار أوبونتو يشير بدقة إلى أن الإنسان لا يكفيه أن يكون "إنسانا"، بل أن يكون "موجودا"، وهذا الوجود لا يتحقق إلا باعتراف

1- Okafor Ikenna,**Toward and African Theology of Fraternal Solidarity**, (New Zealand : Pickwick Publications,2014)p. 198.

2-Leonard Chuwa, African Indigenous Ethics in Global Bioethics, **op.cit**.p, 38.

3- Ifenyi Menkiti, Person and community in African thought. In **African philosophy: An introduction,** ed. R. Wright, (Lanham: University Press of America,1984) p.p 170–175.

4- John Macquarrie, **Existentialism**, (London: Penguin Books,1972) p,104.

الإنسان بتحققه في الآخرين، أي أنه يستمد "إنسانيته ووجوده" الحقيقي عبر اعترافه بهذه الصفة في الآخرين، ويكون ذلك معنويا وماديا. فالوجود الإنساني –إذن– حالة لا يمكن للفرد أن يحققها لنفسه مباشرة، وإنما يحققها أولا للآخرين، فتتحقق تلقائيا فيه.(١)

هذا، ونجد في معظم لغات أفريقيا تعبيرات وأمثالا معبرة عن هذه الرؤية في ضرورة النظر إلى الإنسان بوصفه جزءا في مجموعة بشرية ، ولا تكتمل إنسانيته ووجوده إلا عبر تحقيقه لمتطلبات الإنسانية في الآخرين، أي أن يتخلق بقيم التكافل والتعاون، وبالقيم المجتمعية التشاركية التي سبق تعداد بعضها أول هذا المبحث، ففي المثل لدى مجموعة شيوا بملاوي، الفرد الواحد ليس إنسانا، وإنما الاثنان.

"**kali kokha nkanyama, tili awiri ntiwanthu**".(٢) فالفرد الواحد، يمكن وصفه بأنه "وحش"، وأنه يكتسب صفة "الأنس"، بانضمامه إلى غيره، وكلما تعددت الأفراد، تأكدت صفة "الأنس" والإنسانية في المجموعة.

مثال آخر، عن الرؤية الجماعية نجده عند مجموعة أكان في غانا : " **duo baako nnye kwae** "، أي : لا تتألف الغابة من شجرة واحدة، وإنما مجموعة أشجار.(٣)

فهذا المثل، كغيره من الأمثال الأفريقية، نراه قد نجح في تصوير أهمية مبدأ الجماعية بصورة تمثيلية واضحة؛ إذ لا وجود لمجتمع بدون أفراد متضامنين، مثلما لا يتصور وجود غابة بشجرة واحدة.

كذلك، نجد في كل مظهر من مظاهر الحياة الأفريقية التقليدية ترجمة فعلية لمبدأ الجماعية، ولعل التمثيل بجانب التربية يجلي هذه الفكرة، وهنا يصادفنا مثل شعبي لأكثر من مجموعة إثنية، وهو بلغة شونا (زيمبابوي)، يقول: "**mwna anorerwa nemusha kana kuti nedunhu**"(٤)، أي: لكي تربي طفلا، تحتاج إلى قرية بأكملها؛ للدلالة على أن مسؤولية العناية بالطفل، ليست على والديه فحسب، فالطفل، حين ينشأ ويجد نفسه "ملكا للجميع" في العناية به، وفي الثواب والعقاب، فإنه

1-Anja Aga Ulvestad,Ubuntu in African Traditional Religion,**Master's Thesis in History of Religion**,(Norway:Reprosentralen, University of Oslo, Department of Cultural Studies and Oriental Languages , SPRING 2012) p.26.

2-Jacob Mugumbate & Andrew Nyanguru," Exploring African philosophy: The value of ubuntu in social work" , **African Journal of Social Work** (Zimbabwe: National Association of Social Workers, Vol.3, NO.1,2013),p, 86.

3 - P.H.COETZEE & A.P.J.ROUX (ed), **The African Philosophy Reader**, ٢edition (New York :Routledge,2003)p.352.

4 -hunhu/ubuntu in the traditional thought of Southern Africa,at www.lep.utm.edu.hunhu .

سرعان ما يدرك معنى الجماعية، أيضا تأتي طقوس التأهيل (rites of passage)، المختلفة في حياة الطفل لتعزيز هذا المبدأ الجماعي، وتقليص النزعة الفردية، فهو يلحق بمجموعته العمرية (fulan-kuru) بلغة مادينغ؛ ليزاول معها الألعاب والأعمال المشتركة، ويختار الأسن –ولو بيوم– من كل مجموعة عمرية لزعامتها، ويطلق عليه بمجتمع باكوسو بيوغندا، "Omukayi"، وبمجتمعات مادينغ (Bilakoro-Kuntigi) للصبيان، و(Kamele-Kuntigi) للفتيان، وهو المسؤول المباشر عن تحقيق الوئام على مستويين: بين أفراد مجموعته الفئوية، وبينها وبين المجموعة ككل، وسائر المجموعات بالمجتمع.

وتلقى على هذا الزعيم القائد مسؤوليات كبيرة في تحقيق مبدأ الجماعية، ففي مجتمع زولو مثلا لا يسأل أي فرد في المجموعة العمرية مباشرة عما اقترفه من جرم، وإنما يتحمله زعيم مجموعته، ومن ثم المجموعة بأكملها، يشملهم " العقاب " وما يترتب على إصلاح الخطأ من إجراءات جزائية، سواء أكانت عينية أم معنوية، وفي مجتمع إيبو ، قد يؤدي إلحاق الفرد العار المتواصل مع مجموعته الفئوية إلى خلعه وبيعه في سوق الرقيق.(١)

باختصار، فإن الطفل في ظل هذا النظام، يربى عبر الألعاب الشعبية، وأعمال الصيد والفلاحة، والطقوس المختلفة، والقصص والحكايات والأمثال، على روح الجماعة، فيلقن بأن كل تصرف أناني هو غير أخلاقي، وأن الفرد يعد راشدا – في العرف الأبونتي – حين يكون قادرا على إبراز قدراته الذاتية واتخاذ قراراته بتوازن مع مصالحه الشخصية ومصالح المجموعة التي ينتمي له، وبقدر نجاحه في الانخراط داخل الجماعة، تكون مكافأته، وحيازته، التقدير الاجتماعي ؛ إذ مهما كان الإنجاز الفردي – فإن الفرد لا يستأثر بالتقدير والامتيازات المادية أو المعنوية المترتبة على هذا الإنجاز، وإنما يعيدها إلى المجموعة(٢).

مما سبق، تتجلى أهمية فلسفة أوبونتو؛ بوصفها حجر الأساس الذي يقوم عليه مشروع التكافل والتعاون في المجتمع ؛ بكون التكافل والتعاون المقصد الأساس الذي من أجله يكون الاجتماع البشري، وهو اجتماع ليس سطحيا صوريا في مستوى اجتماع الأبدان، وإنما هو عميق في مستوى الأحاسيس والوجدان .

وكان الهدف من هذ المطلب إيصال فكرة، مفادها أنه في عالم القرن الحادي والعشرين من المرجح أن نجد في تقاليدنا التصالحية مورد أكثر قيمة من تقاليدنا الجزائية لتنفيذ مبدأ العدالة وبناء

1- Pauline E Aligwekwe, **African Culture Is Not to Blame**, (Indiana : Xlibris US, 30 April 2010)), p.73.

2- Leonard Chuwa, **op.cit,p** 35.

السلام في مجتماعتنا، فهذه المعرفة الأفرو تاريخية ضرورية لأنه وفقا للفيلسوف الإيطالي ماركوس توليوس شيشرون[١]، "عدم معرفة ما حدث قبل أن يولد المرء هو أن يبقى طفلا إلى الأبد " .

المحور الثاني
فلسفة أوبونتو كنظام عدالة للشعوب الأصلية الأفريقية

تعاني أفريقيا ما بعد الاستعمار من أوجه قصور خطيرة في أنظمتها القضائية، لا سيما فيما يتعلق بوصول المواطنين إلى منصة القضاء والعدالة، والسؤال هل يمكن اعتبار أنظمة العدالة التقليدية وغير الرسمية خيارا صالحا في محاولة تحسين الوصول إلى العدالة في أفريقيا جنوب الصحراء ؟.

إن تدويل العدالة التصالحية تطور مطلوب لدعم بناء السلام، لكن أدبيات العدالة التصالحية ستكون غير مكتملة إذا تم حجب مساهمة التقاليد التصالحية الأفريقية في نموذج العدالة التصالحية الناشئة أو استمر تجاهلها؛ إذ يكتب بعض علماء القانون والكتاب الغربيين عن تاريخ العدالة التصالحية حاجبين كل الأدلة التاريخية الأفريقية التي سعت لتطبيق آليات العدالة التقليدية، حتى أن آخرين كتبوا أنه " عندما يتم تصنيف العرق حسب اللون، فإن العرق الأسود هو النوع الوحيد من الأجناس الأساسية التي لم تقدم أي مساهمة إبداعية في أي من حضارات الواحد والعشرين [٢].

فهدف التقاليد التصالحية الأفريقية هى إعادة حقوق الضحايا وإعادة إدماج الجاني في المجتمع، وعليه استعادة العلاقات والوئام الاجتماعي الذي قوضه الصراع، وهو هدف مهم للعدالة الانتقالية ككل، حيث تنبع فعالية نظام العدالة الأفريقي من حقيقة أن جميع أصحاب المصلحة يتمتعون بالمساواة في الوصول والمشاركة في عملية حل النزاع، ولابد أن يؤخذ بجميع الأصوات واحترامها في العملية التصالحية من خلال التوافق في الآراء، هنا تأتي أهمية ودور فلسفة **Ubuntu** التي تجسد وجهة النظر الأفريقية الأساسية التي تعبر عن قيم المساواة والإنسانية والترابط والتشاركية والديمقراطية في أفريقيا .

وقد استخدمت فلسفة أوبونتو –تقليديا– للحفاظ على القانون والنظام في المجتمع الأفريقي، وكانت التقاليد والعادات والقوانين الأفريقية الأصلية بمثابة أسس للسيطرة والعدالة في القارة ، وقد تغير هذا مع استعمار أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، من حيث النظام القضائي، حيث أدى الاستعمار

---

١ – ١٠٦ – ٤٣ قبل الميلاد ، متخصص في القانون الروماني ودرس الفلسفة . للمزيد أنظر الموقع https://drmfarhan.wordpress.com/2015/06/07/

2 –David Dalgleish, Pre-Colonial Criminal Justice In West Africa: Eurocentric Thought Versus Africentric Evidence, **African Journal of Criminology and Justice Studies** (USA: University of Maryland, VOL.1 NO.1: APRIL, 2005) p .57.

الأفريقي إلى تطبيق أنظمة العدالة الجنائية الغربية التي ساهمت في تفكك تقاليد العدالة الأصلية الغنية في أفريقيا، وتم استبدال الشكل التقليدي للمجتمعات الأفريقية والتقاليد الانتقالية بنظام عدالة فردي وموجه نحو أفراد معينة(١).

أولا: أوبونتو والقانون والعدالة:

طالما أن تطبيق العدالة والقانون والنظام يقع ضمن مجموعة العلاقات؛ فهذا يعني على الرغم من أنه نادرا ما يتم اللجوء إلى الإكراه الرسمي، إلا أن الضغط الاجتماعي يلعب دورا قويا في تحقيق الامتثال أمام القانون، و يبرر الباحث **gbokwe** حجته عندما يقول إن:

" الدرجة العالية من المشاركة العامة في التوصل إلى حل للنزاع في العدالة التقليدية الأفريقية ؛ تعني أن عصيان الحكم النهائي هو بمثابة عصيان للمجتمع بأكمله وقد يجذب النبذ الاجتماعي" (٢). لذلك في المجتمعات الأفريقية للنبذ أهمية كبيرة أكثر من كونها رمزية ، لأنه لا يمثل الانعزال الاجتماعي فحسب، بل يمثل تهديدا لمعيشة الفرد خاصة عندما تعتمد متطالباته الاساسية على الجهود التعاونية، والأمن والسلامة على الجهود الاجتماعية، وهنا يتم تشبيه انفصال الفرد عن المجموعة في المجتمع الأفريقي التقليدي بما أسماه القاضي **Oputa** – أوبوتا " الموت الحي".(٣)

وفلسفة أوبونتو هنا معنية بتحقيق قيم العدالة التبادلية بين الانسان وعناصر الكون وهنا تأتي متوالية من المحظورات والأنظمة الاجتماعية، والطقوس الدينية التي تؤمن التعايش السلمي بين البشر من جانب، وبين سائر مكونات الكون من جانب آخر.(٤)

ففي معظم الثقافات الأفريقية (بما في ذلك بعض المجتمعات الأفريقية الحديثة)، ينظر إلى المجتمع أو الجماعة على أنها كيان مستمر ذاتي الاستدامة يضم الأحياء والأموات لذلك، ينظر إلى قانون المجتمع على أنه حيازة وتراث لسلسلة لا نهاية لها من الأجيال، وعليه يعد أي عمل تمرد ضد

1- Don John Omale, Justice in History: An examination of 'African restorative traditions' and the emerging 'resotrative justice paradigm." **African journal of criminology and justice studies**"(USA: University of Maryland, Volume 2, No. 2, November 2006) p .45.

2- Igbokwe Victor, Socio-cultural dimensions of dispute resolution: Informal justice processes among the Ibo-speaking peoples of Eastern Nigeria and their implications for community/neighbouring justice system in North America' , **"African Journal of International and comparative law"** (UK : The University of Edinburgh, vol. 10, 1998) p. 469.

3- Don John Omale, **OP,CIT** ,P.46.

4- Peter Kasanene,Ethics in African theology. In C. Villa-Vicencio and J. W. de Gruchy, **Doing ethics in context: South African perspectives** (ed), (Cape Town: David Philip Publishers,1994) p.p 139 –147.

الوضع القانوني الراهن عمل بغيضا، ليس فقط في نظر الأحياء ولكن أيضا في أعين أرواح الأجداد التي يعتقد أنها تحوم بشكل دائم حولهم وتحمي المجتمع(١).

وبقدر ما قد يبدو هذا الاعتقاد الخارق للطبيعة غير علمي لعلماء الجريمة الغربيين، فقد ساعد هذا الاعتقاد في تطبيق المصالحة وإعادة دمج الجناة في معظم المجتمعات الأفريقية و هكذا تعد أوبونتو إحياء للقيم الأفريقية والمبادئ الأخلاقية، فقد ولد المفهوم وترعرع وتطور في أفريقيا؛ وبالتالي فهي مَدينة بالكثير للقانون التقليدي الأفريقي(٢)، والذى يمكنه معالجة بعض القصور في الانظمة القضائية المعاصرة ، لا سيما فيما يتعلق بوصول المواطنين إلى منصات القضاء العادلة ، ومعاناة المجتمعات الإفريقية أثناءعملية سن القوانين، وعليه إلتجأت بعض الجماعات والدول إلى آليات العدالة التقليدية في تحقيق العدالة .

وبالتالي يميل الفقه التقليدى الأفريقي إلى دعم الحلول والعقوبات التي تميل إلى الجمع بين الناس؛ على سبيل المثال أحيانا يترتب على ارتكاب شخص جريمة قتل، إقامة رابطة زواج بين عائلة الضحية وعائلة الجاني، بالإضافة إلى معاقبة الجاني داخل وخارج دوائره الاجتماعية، ويمتد دور معاقبة الجاني في جريمة القتل ليشمل أسرته وجماعته الذي ينحدر منه الجاني. وبالتالي يصبح عقاب الجاني وصمة اجتماعية يجب التخلص منها بعد سنوات عديدة من الجريمة والشخص القائد الذى يدير هذه العملية يتمتع بنكران الذات والتشاور على نطاق واسع مع الآخرين ويستمع بكل دقة للآخرين(٣).

وبالتالي يصبح الهدف من إقامة العدالة الأفريقية هو تعويض وترميم الضحية وإعادة إدماج الجاني في المجتمع، بالاضافة إلى استعادة العلاقات والانسجام الاجتماعي الذي يقوضه الصراع. وعليه تنبع فعالية نظام العدالة الأفريقية من حقيقة مفادها أن جميع أصحاب المصلحة لديهم وصول ومشاركة متكافئين في عملية حل النزاعات.

أولئك الذين انتقدوا مسارات العدالة التقليدية غير الرسمية باعتبارها مسارات تقليدية لا يمكنها تعزيز السلام ومن ثم التنمية ؛ كثيرا ما يكونوا مفرطين في التبسيط في فعاليتها، وهي رؤية مرتبطة بنظرة مساواة "التقليدية" مع "التخلف" و "الحديث" مع "التقدم"، وبالتالي لا يمكن للتنمية أن

1- Don John Omale, **OP,CIT** ,P.47.

2- Clever Mapaure," Reinvigorating African values for SADC: The relevance of traditional African philosophy of law in a globalising world of competing. perspectives", **The SADC Law Journal**,(South Africa: Juta and Company (Pty) Ltd , Juta's Law Journals**,** Volume 1 - 2011**)** p.160

3- Ibid,p 171.

تتحقق إلا في إطار حديث، المشكلة الرئيسية مع هذه المعادلة هي أنها تقوم على وجهة نظر ثابتة جدا من التقاليد، وتتجاهل حقيقة أن التقاليد غالبا ما تكون "مبتكرة" وبالتالي هى حديثة المحتوى[١].

ثانيا: العدالة كإنصاف والعقد الاجتماعي وفلسفة الأوبونتو.

- **الإنصاف عند جون رولز**

في سبعينيات القرن الماضي جادل العالم السياسي بجامعة هارفارد، جون رولز بأن المجتمع يصبح منظم عندما يتم تنظيمه بشكل فعال من خلال مفهوم عام للعدالة. [٢] وعليه طرح رولز فكرة " العدالة كإنصاف"، ووضع المبادئ التي يجب أن تؤسس عليها البنية الأساسية السياسية للمجتمع، والمقصود بالبنية الأساسية "مجموعة المؤسسات الأولية التشريعية والاقتصادية، ودستور البلاد، والتعليم "[٣] ؛ بمعنى يشير مصطلح العدل كإنصاف إلى القوى الأخلاقية التي يمتلكها الأشخاص، والتي تتعلق قدرتهم على الشعور بالعدالة ومفهوم الخير.

ويمكننا أن نري أن ما ينادي به رولز في نظريته للعدالة: ماهو إلا إعادة توزيع نتائج الفرص الاقتصادية أو المنافع الاقتصادية في المجتمع، فهو لا يؤمن بأن وظيفة الحكومة تنحصر في حفظ النظام الاجتماعي ؛ بل تتعدى ذلك إلى تحقيق العدل التوزيعي، على نحو يراعي مصلحة الشرائح الأكثر والأشد احتياجا في المجتمع.[٤]

في هذا السياق يحاول رولز البحث عن صيغة تضمن للفرد مصلحته الخاصة، وتحقق تصوره الخاص للخير، وفي نفس الوقت تضمن وجود إطار عام للتعاون يحمي الرابطة الاجتماعية من التفكك، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا نظرنا إلى المجتمع على أنه مغامرة تعاونية مشتركة قائمة على المصلحة المتبادلة؛ وفي هذا المشروع الاجتماعي المشترك لرولز هناك من جهة تماثل في المصلحة بين الأطراف المشاركة في هذا المشروع التعاوني؛ إذ إن كل الأطراف لها مصلحة في استمراره ونجاحه في تحقيق فوائد، ومن جهة أخري هناك تنازع في المصلحة،حيث إن كل طرف في هذا المشروع التعاوني، يريد أن يحوز لنفسه ولمجموعته أكبر نصيب من فوائد وأرباح هذا التعاون الاجتماعي[٥] لذلك ؛ فالجميع شركاء في قاعدة المساواة في الانتماء إلى الجماعة السياسية

---

١ – جون رولز، **العدالة كإنصاف**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٩م)، ص١١.

2-Jon Rawls, **A Theory of Justice**, Revised Edition,(Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.1999) p.33.

3–**The Idea of Justice**,(Cambridge- Massachusetts: The Belknap Press,2009) p 62.

٤ – جون رولز، العدالة كإنصاف، **مصدر سبق ذكره** ،ص ١٢

٥ – عارف عادل مرشد، **العدالة كمفهوم سياسي عند جون رولز**، (المغرب : مركز مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ٢٢ مايو ٢٠١٧) متاح على الموقع الالكتروني التالي

والمواطنة والحرية والكرامة، وحرمة الشخص التي لا تقبل الانتهاك ،وبالتالي ينتهي رولز إلى أنه لا يمكن أن يستمر التعاون بين هذه الأطراف إلا إذا وجد إطار عام متفق عليه من الجميع يساعد على تقليل النزاعات الفردية والخلافات حول تقسيم مغانم العيش المشترك وأعبائه، ويساعد هذا لاطار ايجاد الحلول دون الجنوح إلى العنف أو التهديد به، ولا يكون ذلك ممكنا – في رأيه – إلا بتأكيد أولوية العدالة في كل تنظيم لمؤسسات المجتمع الحديث[١].

وفق هذا المنظور؛ تفترض العدالة عند رولز تنظيما للمؤسسات الكبرى للمجتمع، على نحو يكون فيه توزيع فوائد التعاون الاجتماعي وتكاليفه، توزيعا عادلا على أساس المواطنة، حتى لا يشعر أي طرف شريك بالضيم أو يشكو الإجحاف في حقه.

ويكون هذا المجتمع بمثابة نظام اجتماعي منظم وفقا للتصور السياسي للعدالة، تحكمه مؤسسات قوية ، تخضع في سيرها لقواعد يعترف بها جميع المواطنين، ويعملون بها في الحقل العمومي، ولا يتحقق هذا النظام – في صورته المثلى، إلا إذا توافرت مجموعة من الشروط الآتية[٢]:

١) أن يقبل كل فرد تصورا معينا للعدالة ومبادئها، وأن يكون على علم أن الأفراد الآخرين يقبلونها مثله، وأنهم متساوون في الحرية، ولهم نفس الشخصية الأخلاقية التي تبعث فيهم الإحساس بالعدالة – خاصة – في بعدها السياسي.

٢) أن تستجيب البنية المؤسساتية للمجتمع الأساسية التي يتألف منها النظام الاجتماعي لهذه المبادئ، بطريقة تولد الإحساس بالعدالة في نفوس الناس، من أجل إرساء دعائم الاستقرار في المجتمع.

- العقد الاجتماعي والعدل كإنصاف

إن النقطة المركزية التي ظلت تدور حولها نشاطات الإنسان لفترة طويلة، هي العلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم البعض من جهة، وبين عناصر البيئة المتنوعة التي تحيط بهم من جهة أخرى، وهذه تمثل مرحلة تاريخية تلتها مرحلة أخرى جاءت نتيجة تطور المجتمعات، ألا وهي علاقة الحاكم بالمحكوم، وعليه يعتمد مفهوم **Rawls** حول " العدل كإنصاف" مع مفهوم "العقد الاجتماعي"، والذى دعا إليه كل من الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، وتوماس هوبز، وكانت أيضا سمة منتشرة في السياسة والحكم الأفريقيين التقليديين، إذ كان الزعماء الأفارقة التقليديون ملزمين بموجب القانون بالحكم بموافقة الشعب[٣].

---

https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF

١ – المرجع السابق نفسه.

٢ –المرجع السابق نفسه.

3- Moeketsi Letseka,**op.cit** p.545.

وتتجلي فكرة العقد الاجتماعي حول أن الناس كانوا يعيشون في البداية على الطبيعة القائمة على النزاعات والحروب مما دعا الناس إلى التفكير في إنشاء تنظيمات اجتماعية تنظم علاقاتهم من أجل الدفاع عن أنفسهم من الأخطار الخارجية كالطبيعة، أو المجتمعات الأخرى، وهذا يتم من خلال خطوتين الاولى؛ تنازل كل فرد عن قسم من حقوقه الفردية؛ لكي يلتزم أمام الآخرين ببعض الواجبات من أجل تكوين تنظيم يساعدهم على البقاء، الثانية؛ خضوع الأفراد إلى قادة أكفاء قادرين على توجيه حياتهم الاجتماعية توجيها يخدم حاجاتهم وحمايتهم، وعليه تبلورت فكرة العقد الاجتماعي بشكل طوعي دون إلزام أو إكراه من قبل أفراد المجتمع، إنه مشروع عدالة لأن أساسه هو العقد الاجتماعي، حيث أنه مشترك بين الجميع، ولا يمكن أن يكون له نهاية سوى الصالح العام ، وهو عهد دائم لأنه مضمون من قبل القوات المسلحة والقوة العليا[١]. فقد كان العقد الاجتماعي بداية اختمار لفكرة الدساتير الحديثة التي قامت على أساس تمثيل الإرادة الشعبية العامة.

والسؤال الذى يمكن طرحه، هل يمكن اعتبار أوبونتو كمفهوم للعدالة المجتمعية الأفريقية محاكاة بمفهوم العدالة كإنصاف ومفهوم العقد الاجتماعي؟

نعم تستطيع فلسفة الأوبونتو دعم شروط تحقيق العدالة كانصاف ؛ فمازالت أجزاء كبيرة من الدول الأفريقية ريفية وتقليدية للغاية، أو يمكن أن يكونوا قاطنين الضواحي والمدن العالمية، بينما لا يزالون حريصين على الاحتفاظ ببعض الجوانب التقليدية والمجتمعية، فالقضية الأساسية هي تسخير تلك العناصر التقليدية لـ **Ubuntu** التي يمكن أن تغرس الأفكار والأهداف المركزية لـ "العدالة كإنصاف" ودمجها في لبنات بناء صلبة لدعم المفاهيم الفلسفية لدستور ناشئ ديمقراطي مثل ماحدث في جنوب أفريقيا في دستور ١٩٩٦م[٢].

وهناك الكثير من الأراء التى تحاكى هذا المشروع ؛ إذ يجادل الباحث **Gyekye** بأن الأفكار والقيم في النظام السياسي الأفريقي التقليدي يجب أن يتم فحصها وتصنيفها بشكل دقيق ونقدي بحيث يتم اكتشاف القيم الأفريقية وصقلها وإعطائها ترجمة حديثة[٣]، بمعنى إيجاد طرق ووسائل معاصرة لهذه الأفكار المستقلة في سندان الحكمة، والفطرة السليمة والخيال والروح الإبداعية،

1- Jak Rousseau, **The Social Contract, Translated with Introduced Maurice Cranston**,(London: Penguin Books,1968). p.77.

2- Moeketsi Letseka, Ubuntu and Justice as Fairness**, Mediterranean Journal of Social Sciences** (Rome-Italy : MCSER Publishing, Vol 5 . No 9 ,May 201) p545.

3- Kwame Gyekye, "Traditional political ideas: their relevance to developments in contemporary Africa", in Kwasi Wiredu & Kwame Gyekye (eds) **Person and Community: Ghanaian Philosophical Studies**, (Washington, D.C: Council for Research in Values and Philosophy, 1992) P.254.

والخوض تاريخيا في شكل ليبرالي مقبول في إطار العالم الحديث [1]. كما عبر عن تلك المشروع مجموعة من الأكاديمين الأفارقة حول جدوى نظرية المعرفة الأفريقية التقليدية للمفاهيم الحديثة للأفكار السياسية والحكم.

ثالثا: أوبونتو وبناء السلام وتجاوز روح الانتقام.

يتطلب بناء السلام المستدام أن نتجاوز روح الانتقام، وأن نفتح رؤيتنا للعالم لتشمل الآخرين. وقد أشار **Roland Paris** -أحد منتقدي المنهج الغربي لبناء السلام- إلى أن بناء السلام الليبرالي لم يكن نموذجا فعالا لإرساء سلام فعال في الدول الممزقة بالحرب في العالم.

ووفقا ل **Roland Paris**، فإن عملية التحرير السياسي والاقتصادي ذاتها ولدت آثارا جانبية مزعزعة للاستقرار في الدول التي مزقتها الحرب وأعاقت توطيد السلام، بل وأثارت في بعض الحالات تجددا للصراعات العنيفة[٢].

وقد استخدم ديزموند توتو مبادئ أوبونتو أثناء قيادته للجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا، وأوجز مراحل خمس لعملية صنع السلام بين مجتمعات أوبونتو[٣]:

١- الاعتراف بالذنب.

٢- إبداء الندم.

٣- التوبة.

٤- طلب المغفرة.

٥- دفع التعويضات تمهيدا للمصالحة.

كما سلط ضوء التثقيف من أجل السلام والمصالحة على أساس فرضية أن نهج أوبونتو لبناء العلاقات الإنسانية يمكن أن يقدم مثالا للعالم، من خلال النظر في فلسفتها الثقافية التي تؤكد على الوحدة الأساسية للإنسانية، وعلى أهمية الإشارة باستمرار إلى مبادئ التعاطف والمشاركة والتعاون في الجهود المبذولة لحل مشاكلنا المشتركة.

1- Moeketsi Letseka,**op.cit** p.545.

2- Roland Paris Peacebuilding and the Limits of Liberal Internationalism" **International Security**, (New Haven: Yale University ,Vol. 22, No. 2,1977) p.57.

3- Tim Murithi , An African Perspective on Peace Education: Ubuntu Lessons in Reconciliation, "**The International Review of Education**",(Berlin: Springer, Vol. 55, No. 2/3, May, 2009) p.221.

وعلى سبيل المثال؛ توضح حالة أنجولا أن معايير السلام المرتبط بآليات العدالة الإجرائية ضعيفة، ولا يعتمد عليها كثيرا؛ حيث حصل المفاوضون الدوليون على قرار وقف لإطلاق النار عام ١٩٩١م، بعد عدة سنوات من الاضطراب السياسي بين الأحزاب السياسية المتحاربة من خلال الاتفاق على إجراء انتخابات متعددة الأحزاب في سبتمبر، وجرت الانتخابات في موعدها تحت إشراف دولي واتسمت بأنها حرة ونزيهة، ولكن تَكشف بعد ذلك أن الانتخابات الأنجولية لم تكن بمثابة أساس للمصالحة وبناء السلام، بل ساعدت على إعادة إشعال الحرب.

وفي مثال آخر يشير **Roland Paris** إلى أن اتفاق السلام في موزامبيق أكتوبر ١٩٩٢م بين جبهة تحرير ليباكتاو وموزامبيق الوطنية، سعى إلى إنهاء سبعة عشر عاما من الحرب المتقطعة من خلال انتخابات تتصف بالديمقراطية؛ إلا أن هذه الانتخابات جعلت الحياة أكثر صعوبة بالنسبة للمواطنين العاديين، وزادت مستويات الفقر والطبقية، وتقيدت جهود الحكومة لإعادة بناء المدارس والعيادات الصحية والطرق وغيرها من البنية التحتية الاجتماعية من خلال شروط برنامج التكيف الهيكلي (SAP)[١].

ومن وجهة نظره **Roland Paris**، ترى أن هذه البيئة المتدهورة ساهمت في انتشار قطاع الطرق وزادت المخاوف من أن الشعور المتزايد بالإحباط والغضب واليأس سيثير انتفاضة جديدة، ويقول **Paris** أن السبب في عدم الاستقرار وحفظ السلام هو فرض النموذج والنهج الغربي تجاه بناء السلام الذى يصفها بالأمية الليبرالية، والافتراض بأن أفضل طريقة لتعزيز السلام هي تحويل الدول الممزقة بالحرب إلى ديموقراطية السوق[٢]. وكانت وجهة نظره، أن المقاربات الأصلية (التقليدية) لبناء السلام وحل النزاعات في أفريقيا أكثر فاعلية من النهج الغربي في كثير من النواحي ويجب النظر فيها بشكل نقدي.

رابعا: التسامح وفكرة العيش سويا:

نحن نكافح للاحتفاظ بأكبر قدر من الإنسانية، إذ إن تحمل الفرد لمسؤوليته العامة ينبغي أن يتشبع بروح الشخصية الإنسانية الأخلاقية الاجتماعية المحلية، إذ لا بد من مبدأ ثابت بديل لتعددية المذاهب الأخلاقية، حتى إذا حصلنا على مذهب أخلاقي يكون ضرورة فكرية و مبدأ يتضح في داخل نفوسنا، هنالك يبدأ تعميق أخلاقي بعيد المدى لوعي الأفراد وتقدم أخلاقي مستمر للإنسانية.[٣]

1- Roland Paris ,**OP.CIt**, p.58.

2- **Idem**

3- Charles Taylor, multiculturalisme, différence é démocratie trad. (paris: Denis Arnaud canal Flammarion , 1992) p 42.

فمبدأ التسامح والإحترام المتبادل بين الثقافات مصدره ثابت ينبغي أن يكفي للاستعاضة عن كافة المذاهب و الرؤى المختلفة و المعروفة في تاريخ الفلسفة الأخلاقية.

إذا كانت العدالة كإنصاف منسجمة تماما مع النزعة الجمهورية الكلاسيكية فإنها ترفض الإنسانية المدنية، فالإنسانية المدنية هي إذن كما شرحها ارسطو " أننا كائنات إجتماعية و سياسية تتحقق منها الطبيعة الأساسية بكاملها داخل مجتمع ديمقراطي مميز بمشاركة واسعة و نشيطة داخل إطار الحياة السياسية"

وإذا كانت الثقافة الإنسانية هي مجموعة من القيم والأشكال المادية والعقلية و الروحية للحياة التي يتصورها أو يعمل على تطبيقها شعب من الشعوب عبر تاريخه، والسلوكيات التي تجد مرجعيتها في الفطرة الإنسانية ذاتها، وبما أن التاريخ الذي نعيشه ليس تاريخ إنسان متوحش بل تاريخ الكائنات الإنسانية التي تعيش داخل الجماعة في مناطق المعارضات والتبادل الروحية والمادية، ومن ذلك الاختلاطات العرقية والقيم فكل مجتمع لا يبقي على حالة بل له أن ينفتح على المجتمعات الأخرى[١]. فالثقافة الإنسانية هذه تعني الانتقال من الخاص إلى العام، ومن مدى الحيز الصغير إلى الأوسع ، ومن الانتماء الجزئي (المؤطر بثقافة محددة) إلى الانتماء الكلي، أي الانتماء للإنسان ذات، وبالتالي تصبح ثقافة خلاقة، تنسجم مع الروح ومكنونها الأكثر عمقا؛ لتكون ثقافة نحو الأعلى، في مقابل ثقافة الأنا المتجهة نحو الأسفل، بما يجسده من تساقط وهبوط [٢].

لقد بدأ الترويج لفلسفة أوبونتو لدى الطبقة المثقفة من المفكرين والزعماء السياسيين، والإداريين في كثير من الدول الإفريقية –الجنوبية خاصة– "بعثا" للهوية الأفريقية الحقيقية، وبوصفها آلية موثوقة لحل مشكلات الفقر، والسياسة، والنزاعات الإثنية، وتحقيق القيادة الناجحة، وبرامج التنمية والتطوير الخدماتي الإداري.[٣]

وعلى مستوي المجال السياسي، يوصي باحثون بتوظيف أوبونتو في محاربة الفساد، والحد منه؛ ذلك أن الأنانية هي التربة الخصبة للفساد، وأن قيم أوبونتو تقوم على نزع شأفة هذه الآفة عن نفس الفرد.[٤]

---

١ – بصافي نجاة ، الكرامة بين أفاق التواصل و إشكالية الحوار ، **رسالة ماجستير** غير منشورة ، (الجزائر : جامعة وهران ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم فلسفة ، ٢٠٠٨) ص ٩١ .

٢ – **المرجع السابق نفسه .**

3 - Wim van Binsbergen, **op.cit ,p55**

4 - Geraldine Fraser-Moleketi ,"Towards a Common Understanding of Corruption in Africa". **Public Policy and Administration** (UK: UK Joint University Council, Volume: 24 issue: 3 ,November 2007) p. 337.

وعمليا، فإن محاولات عدة نجحت في إخراج مبادئ أوبونتو النظرية إلى خطوات إجرائية عملية، ومنها محاولة الزعيم نيلسون مانديلا توظيف مبادئ أوبونتو في مناهضة التمييز العنصري، وبعدها في تشكيل سياسة جنوب أفريقيا الحديثة (١٩٩٤م)، ووظفت في المجال الديني الروحي لدى كثير من رجالات الدين المسيحيين في حل النزاعات وفي الترويج لحملات التكافل الاجتماعي، أشهرهم كبير الأساقفة ديسموند توتو، حين عين رئيسا لهيئة تحري الحقائق والمصالحة الوطنية بجنوب أفريقيا إثر إلغاء سياسة التفرقة العنصرية، بالتركيز على روح الاعتراف بالخطأ، وقبول الاعتذار والتسامح، كذلك وظفت أوبونتو في الكونغو إثر حربها الأهلية في مشروع المصالحة الوطنية.

أيضا، وظفت أوبونتو في مجال التطوير الإداري والخدمات، ومن أشهر التجارب في هذا المجال، تجربة البروفيسور لوفمور وحتى في مجال تكنولوجيا المعلومات والبرمجيات، فقد صممت شركة لينوكس (Linux) في الولايات المتحدة الأمريكية برمجية باسم أوبونتو، قائمة على فكرة مجانية البرامج الإلكترونية، وأن المعرفة والتكنولوجيا ينبغي أن تكون حقا مشاعا بين البشر، وعليه فإن برمجية أوبونتو مفتوحة المصدر (Open-Source Software) يتم تبادلها وتطويرها بين الأفراد بلا مقابل مالي، ولا قيود حقوقية.[١]

وهناك العديد من القيم والأنظمة التقليدية المماثلة لفلسفة أوبونتو: كمفهوم "غاشاشا" أو جاكاكا (Gacaca)، الذي وظف في رواندا بعد حرب الإبادة (١٩٩٤م)، في محاكمة مجرمي الحرب وفي تحقيق المصالحة، ومنها أيضا مفهوم "ماتو أبوت" (Mato Oput) في أوغندا، و"هارامبي" (Harambee) في كينيا، ويأتي هذا التوظيف لأوبونتو ولغيرها من المنظورات المجتمعية، ضمن الشعور الأفريقي المشترك بضرورة العودة إلى العادات والتقاليد والإجراءات المجتمعية السلمية القديمة، خاصة في ظل إخفاق الوسائل والإجراءات الغربية الحديثة في تحقيق السلام والوئام الاجتماعي، وقصورها في حل النزاعات، وتعزيز التضامن.[٢]

هذا، ولا يخفى أن رؤية أوبونتو في واقع المجتمعات الأفريقية الحديثة، أكثر قيمة منها واقعيا، وممارسة يومية، ويظهر ذلك في ارتفاع مؤشرات الفساد، والصراعات التي يغلب عليها الطابع الإثني، وفي توسيع فجوة اللامساواة، وغلبة نزعة الأنانية على الأفراد والمجموعات.

1- Jacoba Mugumbate & Andrew Nyanguru, **op.cit** ,p87.

2- Sara Calvo,**Social and Solidarity Economy**, 1 edition (New York: Routledge, , (2019) p.76.

ويتضح أن الإشكال الحقيقي لفلسفة أوبونتو في أفريقيا المعاصرة، هو ضحالة الالتزام بقيم أوبونتو، فهي لا تزال في "مستوى الشفاه"؛ لذلك لا بد من تعميقها وتوسيعها إلى مستوى الأفعال والالتزامات السلوكية اليومية؛ ليعيش الأفارقة مرة أخرى في كرامة ووئام مع أنفسهم.(١)

وفي الختام ؛ حاولت الدراسة تقديم آليات العدالة في ظل فلسفة أوبونتو كمناهج مختلفة للتغلب على النزاعات الأفريقية. وهو الأمر الذى جعل العديد من الصراعات في أفريقيا أمرا يمكن التحكم فيه. حيث أوبونتو تحتوي على مبدأ فعال لإدارة الصراع، والذى يكمن في سر مهارة رئيس القرية في تسوية الصراع التي تفتقر للعديد من العقوبات الرسمية ، بل تعتمد على القوة الخيالية للمصالحة والتي تكمن في حماية المصالح المتضاربة لأفراد مجتمعه دون تدمير أي منها، وعلى مبادئ الحب والتعاطف والمشاركة والعناية والتسامح والتعاون في التعامل مع المشكلات المشتركة التي تؤكد جوهر الإنسانية، وبالتالي فإن استراتيجيات حل النزاعات الأصلية مستدامة ومقبولة وقابلة للتحمل لأنها من داخل الثقافات الأفريقية.

ويترتب على ذلك أنه يمكن التذرع بالمصالحة بموجب فلسفة أوبونتو للتعامل مع الصراعات في البلدان الأخرى، بما في ذلك الصراعات الدولية مثل تلك التي تدور رحاها منذ سنوات بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ويمكن تحويل هذا الصراع إلى علاقة مزحة بين المجتمعين لصالح الجميع، ويمكن للمجتمع العالمي أن يستمد الإلهام من علم الآثار للفلسفة الأفريقية لصالح البشرية جمعاء، وبهذه الطريقة يمكن لأفريقيا أن تدعي أن القرن الحادي والعشرين قرن أفريقي وأن النهضة الأفريقية هي تجربة إنسانية لجميع الإنسانية.

عرضت الدراسة كذلك نظرية يمكن أن توفر بيئة مواتية لتنشيط النظم الأخلاقية والقيم الأفريقية من أجل تطبيق العدالة وبناء السلام المتكامل القاري والإقليمي المستدام في عالم معولم من وجهات النظر المتنافسة.

في ظل هذه الخلفية، نجد أن الثقافات الخاصة بالقوانين الأفريقية تنطوي على علامات عرقية مختلفة؛ وبالتالي لا ينبغي للمشرعين الأفريقيين المعاصرين، ومشرعي القانون أن ينظروا إلى الشرق أو الغرب، ولكن عليهم ان ينظروا أين يقفون: هذا هو المكان الذي تكمن فيه القيم الأفريقية وبهذه الطريقة، لن يضيع التراث الأفريقي أبدا، وسيتم تطبيق العدالة بروح وقبول الشعوب الأفريقية بالشكل الذى يجعل من انتهاكات الماضي إرث وذكري .

1- Wojciech Owczarski & Maria Virginia Filomena (ed), **Solidarity, Memory and Identity**, (United Kingdom : Cambridge Scholars Publishing,2015)p. 202.